بان جعلها رتبة على بسيطها الممتد الذي تنزعت فيه سبايك الانهار من زبرجد الاشجار ونسيم نجدها وبهجة منظر حورها في القلوب والاستلطاف برق الطباع ويحدث فيها ما شاء والاحسان من الاختراع والابتداع ولم تخل من اشراف اماثل وعلماء اكابر وشعراء افاضل ولو لم يكن لها الا ما خصها الله به من كونها قد نبغ فيها من النساء مثل نزهون القلاعية وزينب بنت زياد وقد تقدم شعرها وحفصة بنت الحاج وناهيك في الظرف والادب وهل ترى اظرف منها في جوابها للوزير الحسيب الناظم الناثر ابي جعفر بن القايد الاجل ابي مروان بن سعيد وذلك انهما باتا بحوز مومل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال ابو جعفر •

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم • عشية وارانا بحوز مومل
وقد خفقت من نحو نجد اريجة • اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمري على الدوح وانثنى • قضيب من الريحان من فوق جدول
ترى الروض مسرورا بما قد بدا له • عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتب اليها بعد الافتراق لتجاوبه على عادتها في ذلك فكتبت له ما لا يخفى فيه تيمتها ٥ ٥

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا • ولكنه ابدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا • ولا صدح القمري وجدا بما وجد
فلا تحسن الظن الذي انت اهله • فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق ابدى نجومه • لامر سوى كيما يكون لنا رصد

واما مالقة فانها قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التي لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع عامر والبروج التي شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء وتخلل الوادي الزاير لها في فصلي الشتاء والربيع في سرر بطحائها وتوسطه خصور ارجائها ومما اختصت به من ساير البلاد التين الريي المنسوب اليها لان اسمها في القديم رية ولقد لجزت ان يباع في بغداد على جهة الاستطراف واما ما يسفر منه المسلمون والنصارى في المراكب البحرية فاكثر من ان يعبر عنه بما يحصره ولقد اجتزت بها مرة واخذت على طريق الساحل من سهيل الى ان بلغت الى بليش قدر ثلاثة ايام متعجبا فيما حوته هذه المسافة من شجر التين وان بعضها ليجتني جميعها الطفل الصغير من لزوقها بالارض وقد حوت ما يتعب الجماعة كثرة وبين بليش هو الذي قيل فيه للبربري كيف رايت قال لا تسالني عنه وصب في حلقي بالقفة وهو لعمر الله معذور لانه نهم حرمت بلاده منها وقد خصت بطيب الشراب الحلال والحرام حتى سار المثل بالشراب المالقي وقيل لاحد الخلعا وقد اشرف على الموت اسال ربك المغفرة فرفع يديه وقال يا رب اسالك من جميع ما في الجنة خمر مالقة وزبيب اشبيلية وفيها تنسج الحلل الموشية التي تتجاوز اثمانها الالاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دونهم ٥ وساحلها محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى واما المرية فانها البلد المشهور الذكر العظيم القدر الذي خص اهله باعتدال المزاج ورونق الديباج ورقة البشرة وحسن الوجوه والاخلاق وكرم المعاشرة والصحبة وساحلها انظف السواحل وانزهها واملحها منظرا وفيها الحصى الملون العجب الذي يجعله رؤساء مراكش في البراريد والرخام الصقيل الملوكي وواديها المعروف بوادي بجانة من افرج الاودية صفتاه بالرياض كالعذارين حول الثغر يحق ان ينشد فيها ٥

ارض وطيت الدر رضراضا بها • والترب مسكا والرياض جنانا •

وفيها كان ابن ميمون القايد الذي قهر النصارى في البحر وقطع سفرهم فيه وضرب على بلاد الرمانية بقتل وسبا وملا صدورها رعبا حتى كان منه كما قال البحتري

فاذا تنبه رعته واذا غفا • سلت عليه سيوفك الاحلام

وبها كان محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم ومنها تسفر لساير البلاد بضايعهم ومنها كانوا يوسقون جميع البضايع التي تصلح لهم وقصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع في اعشارهم ولم يوجد لهذا الشان مثلها لكونها متوسطة ومتسعة قايمة بالوارد والصادر وهي ايضا مصنع للحلل الموشية النفيسة واما مرسية فانها حاضرة شرق الاندلس ولاهلها من الصرامة والاباء ما هو معروف مشهور وواديها قسيم وادي اشبيلية كلاهما ينبع من شقورة وعليه من البساتين المتهدلة الاغصان والنواعير المطربة الالحان والاطيار المغردة والازهار المتضوعة ما قد سمعت وهي من اكثر البلاد فواكه ورياحين واهلها اكثر الناس راحات وفرجا لكون خارجها معينا على ذلك بحسن منظره وهي بلد تجهز منها العروس التي تنتخب شوارها ولا تفتقر في شي من ذلك الى سواها وهي للمرية ومالقة في صنعة الوشي ثالثة وقد اختصت بالبسط التنتلية التي تسفر لبلاد المشرق وبالحصر التي تغلف بها الحيطان المبهجة للبصر الى غير ذلك مما يطول ذكره ومطيب الاندلس ورصافتها من احسن متنزهات الارض وفيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرونق ويقال ان لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية اذ هي موصوفة بذلك ومما اختصت به النسيج البلنسي الذي يسفر لاقطار المغرب ولم تخل من علماء ولا شعراء ولا فرسان يكابدون مصابرة الاعداء ويتجرعون فيه النعا ممزوجا بالقرا واهلها اصلح الناس مذهبا وامتنهم دينا واحسنهم صحبة وارفقهم بالغريب واما جزيرة ميورقة فمن اخصب بلاد الله زرعا واكثرها ذرعا ورزقا وماشية وهي على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها يصل فاضل خيرها الى غيرها اذ فيها من الحضارة والتمكن والتمتع وعظم البادية ما يغنيها وفيها من الفوايد ما فيها ولها فضلاء وابطال اقتصروا على حمايتها من الاعداء المحدقة بها ٥ ٥ ٥ ٥

من كل من جعل الحسام خليله • لا يبتغي ابدا سواه معينا

هذا زادك الله فضلك بالانصاف • وشرف كرمك بالاعتراف ما حضرني الآن في فضل جزيرة الاندلس ولم اذكر من بلادها الا ما كل بلدة منها مملكة مستقلة يليها

ملوك بني عبد المومن على انفراده وغيرها في حكم التبع واما علماوها وشعراوها فاني لم اعرض منهم الا لمن هو المشهور كالصباح وفي مسير الذكر كمسير الرياح وانا احكي لك حكاية جرت في مجلس الفقيه الرئيس ابي بكر بن زهر وذلك اني كنت يوما بين يديه فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان وكان ابن زهر يكرمه فقلت له ما تقول في علماء الاندلس وكتابهم وشعرائهم فقال كبرت فلم افهم مقصده واستبردت ما اتى به وفهم مني ابو بكر بن زهر اني نظرت نظر المستبرد المنكر فقال لي اقرات شعر المتنبي قلت نعم وحفظت جميعه قال فعلى نفسك اذا فلتنكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم فذكرني بقول المتنبي •

كبرت حول ديارهم لما بدت • منها الشموس وليس فيها المشرق •

فاعتذرت للخراساني وقلت له قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي حين لم افهم نبل مقصدك • فالحمد لله الذي اطلع من المغرب هذه الشموس • وجعلها بين جميع اهله بمنزلة الرؤوس • وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المختار من صفوة العرب • وعلى آله وصحبه صلاة متصلة على غابر الحقب • كملت رسالة الشقندي وهو ابو الوليد اسمعيل بن محمد وشقندة المنسوب اليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب قال ابن سعيد وهو ممن كان بينه وبين والدي صحبة اكيدة • ومجالسات انس عديدة • ومزاورات تتصل • ومحاضرات لا تكاد تنفصل • وانتفعت بمجالسته • وله رسالة في تفضيل الاندلس يعارض بها ابا يحيى في تفضيل بر العدوة اورد فيها من المحاسن ما يشهد له بلطافة المنزع • وعذوبة المشرع • وكان جامعا لفنون العلوم الحديثة والقديمة وعين بمجلس المنصور فكانت له فيه مشاهد عزيزة شهيرة • وولي قضاء بياسة وقضاء لورقة ولم يزل محفوظ الجانب • محمود المذاهب • سمعته ينشد والدي قصيدة في المنصور وقد نهض للقاء العدو منها ٥

اذا نهضت فان السيف منتهض • ترى السيوف بها ماء والعدى عرضا
لك البسيطة تطويها وتنشرها • فليس في كل ما تنويه معترض

قال وسمعته يقول لما انشدت الوزير ابا سعيد بن جامع قصيدة اولها

استوقف الركب قد لاحت لك الدار • واسال بربع تناءت فيه اقمار
لا خفف الله عني بعد بينهم • فانني سرت والاحباب ما ساروا

ومنها

الا رعى الله ظبيا في قبابهم • منه لهم في ظلام الليل انوار

وقال ٥

علالاني بذكر من همت فيه • وعداني عنه بما ادعيه
واذا ما طربتما لارتياحي • فاجعلا خمرتي مدامة فيه
ليت شعري وكم اطيل الاماني • اي يوم في خلوة القيه
واذا ما ظفرت يوما بشكوى • قال لي اين كان ما تدعيه
لا دموع ولا سقام فاذا • شاهد عنك بالذي تدعيه
قلت دعني امت بدائي فاني • لو براني الغرام لا ابديه

وقال في عواده لما مرض

اني مرضت مرضة • اسقط منها في يدي
فكان في الاخوان من • لم اره في العود
فقلت في كلهم • قول امرى مقتصد
اير الذي قد عادني • في است الذي لم يعد

مات باشبيلية سنة ٦٢٩ انتهى وقال ابن سعيد انشدني والدي للحافظ ابي الطاهر السلفي قال وكفى به شاهدا وبقوله مفتخرا ٥

بلاد اذربيجان في الشرق عندنا • كاندلس بالغرب في العلم والادب
فما ان تكاد الدهر تلقى مميزا • من اهلهما الا وقد جد في الطلب

وحكى غير واحد كابن الابار ان عباس بن ناصح الشاعر لما توجه من قرطبة الى بغداد لقي ابا نواس فقال له انشدني لابن الاجرب قال فانشدته ثم قال انشدني لبكر فانشدته وهذان شاعران من شعراء الاندلس واعلم انا ان تتبعنا كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم طال بنا الكتاب ولم نستوف المراد فراينا ان نذكر بعضا من ذلك بحسب ما اقتضاه الحال وابداه ليكون عنوانا دالا على ما عداه يكفي من الحلي ما قد حف بالعنق ولنبدا ما نسوقه من اخبار الاندلسيين واشعارهم وحكاياتهم في الجد والهزل والتولية والعزل بقول الفقيه الزاهد ابي عمران موسى بن عمران المارتلي وكان سكن اشبيلية ٥

لا تبك ثوبك ان ابليت جدته • وابك الذي ابلت الايام من بدنك
ولا تكونن مختالا بجدته • فربما كان ذاك الثوب من كفنك
ولا تعفه اذا ابصرته دنسا • فانما الكسب لاوساخ من بدنك

وقال ابو عمر الحصبي الملوشي

شرد النوم عن جفونك وانظر • حكمة توقظ النفوس النياما
حرام على امرى لم يشاهد • حكمة الله ان يذوق المناما

وقال

ليس للمرء اختيار في الذي • يتمنى من حراك وسكون
انما الامر لرب واحد • ان يشا قال له كن فيكون

وقال ابو وهب القرطبي

تنام وقد اعد لك السهاد • وتوقن بالرحيل وليس زاد
وتصبح مثل ما تمسي مضيعا • كانك لست تدري ما المراد
اتطمع ان تفوز غدا هنيئا • ولم يك منك في الدنيا اجتهاد
اذا فرطت في تقديم زرع • فكيف يكون من عدم حصاد

وقيل ان الابيات السابقة التي اولها انا في حالي الى اخره وجدت في تركته بخطه في شقف وبعضهم ينسبها لغيره واسم ابي وهب المذكور عبد الرحمن وذكره ابن بشكوال في الصلة واثنى عليه بالزهد والانقطاع وكان في اول امره قد حسب عامة الناس انه مختل العقل فجعلوا يوذونه ويرمونه بالحجارة ويصيحون عليه يا مجنون يا احمق فيقول

يا عاذلي انت به جاهل • دعني به لست بمغبون
اما تراني ابدا والها • فيه لمسحور ومفتون
احسن ما اسمع في حبه • ومنى بمختل ومجنون

وقال الخطيب ابو محمد بن برطلة ٥

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1